

## المجاهد محمد بن علي "نشأته العلمية وأساليبه الدعوية"

د. أسامة عبد الله محمد الأمين

أستاذ التاريخ المشارك، جامعة بخت الرضا، كلية الآداب، قسم التاريخ.

د. عبد الله الزبير يوسف الزبير

أستاذ التاريخ المساعد، جامعة بخت الرضا، كلية الآداب، قسم التاريخ.

### المستخلص:

هدفت الدراسة الى إبراز الدور الذي لعبه محمد بن علي في إعزاز الدين الإسلامي ونصرة أهله والدعوة إليه في أفريقيا وغيرها من بلدان العالم الإسلامي في كذلك جهوده في تحرير بلاده الإسلامية من سيطرة الدول الاستعمارية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وتوصلت الدراسة السنوسي عدة نتائج أبرزها أن الحركة دعت للعودة السنوسي الإسلام بأصوله الصحيحة وختمت الدراسة بتوصيات أهمها العمل على بناء مجتمع إسلامي يحكم بالكتاب والسنة وتسود فيه المساواة والعدل.

### Abstract

This study aims at finding out the main role of Mohammad Ibn Ali ELSanosi in high Lighting Islam and upholding Islamic people in Africa, the Land of Hijaz and in other countries of Islamic word .It also shows his own efforts to liberate Muslim Lands from colonia domination. The study adopted the descriptive analytical method. It shows many resuLts as: It calls for are turn to Islam with correct assets. It concluded with most important recommendations as: the need to build an Islamic community ruled by' Ouraan and 'Sunna'with equality and justice.

### 1-1 مقدمة:

لقد كان لضعف الخلافة العثمانية و ابتعادها عن العمل بتعاليم الإسلام أثر كبير في العالم الإسلامي فقد شعر المسلمون بفقدان الراعي الذي يراهم و يحرسهم ، و القائد الذي يوحد طاقاتهم ويوجه ا ضد الدول الاستعمارية التي كانت تتطلق من مخططات تهدف السنوسي عدم قيام أي دولة إسلامية في أي بقعة من العالم الإسلامي . ونسبةً لهذه الأوضاع السيئة اتسعت حركة العودة للإسلام عقيدة وثقافة ونهج حياة على امتداد ساحات العالم الإسلامي وبرزت حركات إسلامية هدفها إعادة الخلافة الإسلامية لسابق قوتها ومجدها وتحرير العالم الإسلامي من سيطرة الدول الاستعمارية فكان من رواد حركة إحياء شرائع الإسلام السمحة في القرن التاسع عشر الميلادي المجاهد محمد بن علي مؤسس الحركة التي كان لها أثر في مسيرة الأمة الإسلامية في شمال أفريقيا وغيرها ووسطها وكذلك في الحجاز وغيرها من أقطار العالم الإسلامي.

## 2-1 أهمية الدراسة:

هنالك بواعث عديدة دفعت الباحثان لدراسة هذا الموضوع أهمها:

أ/ إبراز الدور الذي قّام به المجاهد محمد بن علي السنوسي في إعزاز دين الله و نصرته أهله و الدعوة إليه في الصحراء الكبرى وغرب أفريقيا ووسطها وشمالها و بلاد الحجاز و مصر .

ب/ إبراز دور المجاهد محمد بن علي في قيادة العمل الجماعي بوصفه أسلوباً لتحقيق الأهداف الكبرى للإسلام.

## 3-1 منهج الدراسة:

اعتمد الباحثان علي المنهج التاريخي الوصفي و التحليلي الذي يقوم على جمع الروايات التاريخية من مصادرها المتنوعة ودراستها و استخدامها في معالجة موضوع البحث .

## 4-1 نشأته العلمية:

لقد توافرت عدة عوامل شكلت شخصية محمد بن علي السنوسي منها:

أولاً: نشأته الدينية في وسط أسرة زاخرة بالعلماء في الدين:

ولد محمد بن علي في قرية (الواسطة) بقرب من بلدة (مستغانم) من أعمال الجزائر في 12 ربيع الأول 1202 هـ الموافق 22 ديسمبر 1787م وينتهي نسبه السنوسي الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، كما نشأ صاحب الحركة في بيت علم و دين فتلقى علومه الأولية في بلدته (الواسطة)<sup>1</sup>.

ثانياً: كثرة أسفاره

كان شغوفاً بالعلم لهذا سافر السنوسي (فاس) والتحق بجامعة القرويين الذي كان مركزاً من مراكز العلم و العلماء في ذلك الوقت فأقام به سبع سنوات (1822-1829م) طالباً للعلم ثم مدرساً وقد اهتم بدراسة الطرق الصوفية كالفارسية، و الشاذلية، و الجزولية وغيرها<sup>2</sup>. وكان محمد بن علي أثناء إقامته بفاس يرغب في أن يرى العدل يسود شعوب العالم الإسلامي لذا أكثر في المواعظ الحسنة أثناء دروسه لطلاب العلم ولكن دعوته إلى العدل وجمع كلمة المسلمين و الابتعاد عن المنكر لم تثمر ثمرتها بل قامت السلطات الحكومية بمراقبته فقرر الارتحال عنها في عام 1829م<sup>3</sup>. ويبدو أن الباعث الذي جعله يرحل من فاس رغبته في العمل من أجل إصلاح حال العالم الإسلامي. انتقل محمد بن علي السنوسي إلى الجزائر حيث خالط أهلها وعاش بينهم في بلدة (عين مهدى) بجنوب الجزائر التي تُعدُّ مركزاً لتجمع القوافل الآتية من أفريقيا الغربية و الزاهية إليها، وقد مكث فيها بعض الوقت يلقي دروساً في الفقه و الشريعة. ثم قام بزيارة إلى تونس، و طرابلس ثم غادرها السنوسي إلى القاهرة التي لم تطل إقامته بها كثيراً بسبب عدم الترحيب بأفكاره من مشايخ و علماء الأزهر<sup>4</sup>. سافر محمد بن علي السنوسي بلاد الحجاز حيث مكث بمكة حوالي ثمان سنوات يدرس الفقه الإسلامي علي يد علمائها و التقى فيها بعدد من العلماء على رأسهم السيد أحمد بن إدريس الفاسي في عام 1935م وعاد محمد بن علي السنوسي من مكة و أسس أول زاوية في جبل أبي قبيس في عام 1837م فالتف الناس حوله و أقبلوا عليه و مكث فيها يُدرّس علم الفقه و العقيدة وينشر تعاليمه الإسلامية حتى عام 1840م إلا أنه وجد

1 عبدالودود ابراهيم شلبي: الأصول الفكرية للحركة المهدي السوداني و دعوته، دار المعارف، ص 71.

2 نقولا زيادة: ليبيا من الإحتلال الإيطالي السنوسي السنوسي الإستقلال، القاهرة 1958م، ص 64.

3 أحمد الخشاب: الإجتماع الديني مفاهيمه النظرية و تطبيقاته العملية ط 3، مطبعة القاهرة الحديثة، 1970م، ص 368.

4 عبدالودود ابراهيم شلبي، مرجع سابق، ص 72.

تعتنا من أشرف مكة و العثمانيين في بلاد الحجاز<sup>1</sup>. فترك بلاد الحجاز عائدا إلى الجزائر منذ عام 1830م فعاد إلى برقة وأختارها مقراً له حيث أنشأ فيها أول زاوية للحركة في ليبيا عام 1843م وقد سميت هذه الزاوية باسم (البيضاء) باعتبارها المكان الصالح لنشر دعوته<sup>2</sup>.

### ثالثاً: معرفته بأسباب ضعف المسلمين

وساهمت كثرة أسفاره ومخالطته للعلماء - من مختلف المشارب والعمل معهم - في إعطائه القدرة على رسم الطريق الصحيح لدعوته بعد أن وقف على أسباب ضعف الإسلام في نفوس العرب المسلمين وضعف البلاد العربية نتيجة لحرص الأتراك على حكم العالم العربي فاضطهدت شعوبه واستحقت بالحقوق الإسلامية بل احتقرت الجنسية العربية فادرك محمد بن علي السنوسي أن الدولة العثمانية في طريق الانحطاط والتدهور<sup>3</sup>.

### رابعاً: استفادته من المصلحين الذين عاصروه

يبدو أن محمد بن علي السنوسي قد استفاد من المصلحين الذين عاصروه - كالشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة السنوسية وخصوصاً في العقيدة الإسلامية الخالصة والانطلاق منها ، كما استفاد من الحركة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدي بأنها حركة جهاد و تحرير. وأخذ أيضاً من الطرق الصوفية طريقة التربية لتخليص النفوس من آثامها ولهذا دعت الحركة إلى وجوب دراسة القرآن والحديث النبوي الشريف على يد شيوخ يجيدون فهمها وتدريبه ما. والعمل على إصلاح حياة الناس وفقاً للأصول الإسلامية واستفاد محمد بن علي السنوسي من اتجاهات المذاهب الأربعة فيما يناسب الأمة الإسلامية فضلاً عن تنقية أعمال المسلمين من البدع وغيرها<sup>4</sup>.

### 5-1 مؤلفاته:

ألف محمد بن علي السنوسي العديد من الكتب و الرسائل منها الدرر السنية منها: أخبار السلالة الإدريسية ، وإيقاظ الوسنان في العمل بالحديث و القرآن ، و بغية المقاصد ، وشفاء الصدور ، والكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية ، و الشموس الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة و المشاركة ، و التحفة في أوائل الكتب الشريفة والمسائل العشر، وغيرها<sup>5</sup>.

### 6-1 وفاة :

عندما أحس محمد بن علي السنوسي بشدة مرضه شرع في إسناد الخلافة إلى ابنه محمد بن محمد بن علي السنوسي الذي ولد (بماسة) في الجبل الأخضر في (ذي القعدة 1260هـ - نوفمبر 1844م) قبل مولد أخيه محمد الشريف بسنتين وقد بدت عليه مخايل الذكاء منذ صغره وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز الرابعة عشرة من العمر ولما توفي والده في (صفر عام 1276هـ - 1859م) كان قد بلغ من العمر ستة عشر عاماً ومع ذلك بُوع رئيساً للحركة وكان يتصف بالثقوى و الصلاح و العلم والشخصية القيادية مما جعله قادراً على قيادة الحركة بعد والده . وكان محمد بن علي السنوسي قد وزع المهام بين ولديه قبل وفاته فقال: (السيف لمحمد و القلم للشريف) وهو محمد الشريف الابن الثاني لمحمد بن علي السنوسي<sup>6</sup>.

1 بول شمتز: الإسلام قوة العذ ، ترجمة د. محمد شامة ، مكتبة وهبة ، القاهرة محرم 1394هـ - 1974م ، ص 120 .

2 أحمد الخشاب : المرجع السابق ، ص 370

3 عبدالجليل الطاهر : المجتمع الليبي، المكتبة العصرية،بيروت 1969م ، ص 244.

4 نبيه زكريا عبد ربه : الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية ط 1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، قطر، الدوحة 1406 هـ - 1986م ، ص 238 .

5 عبدالرحمن عمر الماحي : الدعوة الإسلامية في إفريقيا ، الواقع والمستقبل ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 222.

6 محمد فواد شكري : دين ودولة ، القاهرة ، 1948م ، ص 17

### 7-1 اختياره برقة لظهور الدعوة:

وقد توافرت في برقة ظروف ملائمة لظهور الحركة بوصفها حركة إسلامية شاملة منها 1:

أ/ أن برقة منفصلة عن الأقطار المجاورة بالصحاري و الفيافي التي تحيط بها.

ب/ تتألف برقة من قبائل عربية بدوية تربطها أنماط حياة اجتماعية متجانسة.

ت/ يقوم النظام القبلي في برقة على عصبية دموية مشتركة وتقاليد وأعراف متشابهة.

ث/ لاتزال المناطق الريفية بعيدة عن سيطرة المدن.

ج/ لم يمارس الحكام العثمانيون إلا سيطرة ضعيفة على المناطق الداخلية.

### 8-1 أساليب الدعوة :

تميزت الدعوة بأسلوب مفرد تمثل في التدرج والمسالمة واللين وابتداع نظام الزوايا.

أولاً: أسلوب التدرج: اختار محمد بن علي السنوسي لتطبيق أفكاره طريقاً سلمياً و أثر التؤدة في الإصلاح ب إرساء قواعده في نفوس الأفراد بالتدرج كما هادن القوى الموجودة في المجتمع ليتفرغ للعمل في إرساء قواعده التي تهدف إلى إصلاح الفرد المسلم و تكوين نواة مجتمع إسلامي قوي ونشر الإسلام في المناطق التي لم يصلها من قبل<sup>2</sup> . و استطاع محمد بن علي السنوسي أن يجعل من أتباعه في الصحراء الكبرى مجتمعاً متماسكاً متوحداً في عقيدته فانعكس ذلك في توادهم و تراحمهم فيما بينهم و أصبحوا كالجسد الواحد. وقد سلك محمد بن علي السنوسي طريق الوحدة و التعاون و التأخي و الاجتماع على البر و التقوى و هو طريق أهل السنة و الجماعة الذين التزموا في كافة أمورهم بما كان عليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه في العقائد والأخلاق و العبادة و المعاملات وكافة شؤون الحياة . إن المنهج الذي انتهجوه هو كتاب الله وسنة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال تع الى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا<sup>3</sup> وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا<sup>4</sup> كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) " ال عمران آية 103" . إن طريق الاعتصام بحبل الله مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية ولذلك أمر الله سبحانه و تع الى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) بكل ما يحفظ على المسلمين جماعتهم و إفتهم و نهى عن كل ما يعكر صفو هذا الأمر العظيم<sup>3</sup> . وقد حرص محمد بن علي السنوسي إلى تحقيق مبدأ الأخوة في الله بين أتباعه ه مما أورثهم شعوراً عميقاً و عاطفة صادقة و محبة فيما بينهم قال تع الى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ<sup>5</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) "الحجرات الاية 10" فالأخوة في الله من أهم الأسباب التي جعلت الحركة تصمد في وجه الأعداء<sup>4</sup> .

### ثانياً: المسالمة واللين:

رغم انتقاد محمد بن علي السنوسي للدولة العثمانية بسبب سياستها نحو الأقطار العربية ورغم أنه صرح بأن تكون الخلافة الإسلامية في يد شريف قرشي عربي ورغم أن السنوسي ينتسب إلى بيت الرسول (ص) إلا أنه أدرك أنه من الخطأ مناصبتها العدا لأن ذلك ليس في مصلحة الإسلام والمسلمين وحتى لا يدخل في صراع مع الدولة العثمانية قام بالتوغل في الصحراء الليبية لكي يكون بعيداً عن المناطق الساحلية التي تحت السيطرة العثمانية وعمل على إظهار

1 نبيه زكريا عديريه : المرجع السابق ، ص ص ( 239 - 240).

2 نبيه زكريا عديريه ، مرجع سابق ، ص ص ( 238 - 239 ).

3 محمد فواد شكرى، مرجع السابق ، ص ص ( 45 - 46 ).

4 المرجع نفسه ، ص ص ( 46-52 ) .

الولاء للخلافة العثمانية . ولهذا كان طبعيا أن ينظر السلطان العثماني إلى السنوسي وحرلفته نظرة الارتياح . وهي حركة لا تهتم بغير الدين ويعلن زعيمها ولاءه للخلافة العثمانية دائما وأبدا . وبذلت الدولة العثمانية جهدها للاستفادة من مكانة محمد بن علي السنوسي المرموقة عند العرب والمسلمين في القضاء علي الاضطرابات الداخلية لاسيما في الأماكن الصحراوية النائية . ونتيجة للعلاقات الطيبة بين الحركة والدولة العثمانية أصدر السلطان العثماني عبد المجيد الأول فرمانا في عام 1856م عفيت بموجبه الزوايا من الضرائب بل وسمح للحركة بجمع ضريبة من أتباعها . كما أعتبرت الزوايا (حمى) يلجأ إليها الناس (48) . وهكذا بدأت الحركة تنتقل من كونها مجرد دعوة دينية سلفية إلى دعامة من دعائم الحكم في العالم الإسلامي . وعندما احتلت القوات الفرنسية الجزائر في عام 1830م شعر محمد بن علي بالسخط إلا أنه أثر الانسحاب وعدم الاصطدام مع قوات الاحتلال الفرنسي لأن عدم الحيطة و التعجل يترتب عليهما خسارة الحركة عسكريا وسياسيا مما يهدم أعماله الكبيرة التي قام بها وأنفق عليها جهوده الجبارة وعلق عليها آماله ولذلك أجل مقاومة الفرنسيين إلى أن يصل العالم الإسلامي للتأهب للرد على الفرنسيين<sup>1</sup>.

### ثالثاً: الزاوية

**فكرة الزاوية:** استطاعت الحركة أن تنتشر في عدة زوايا في جميع أنحاء ليبيا و الجبل الأخضر وبقية طرابلس الغرب وجنوب الجزائر و فاس و بركة و الحجاز و اليمن و مصر و السودان حتى بلغ عدد هذه الزوايا في عهد محمد بن علي السنوسي ما يزيد عن اثنين و خمسين زاوية ولما شعر ببداء الخلاف بينه وبين حكم دولة الخلافة العثمانية في بنغازي اختار الجغبوب مكانا لإنشاء الزاوية الكبرى المركزية<sup>2</sup>. وأما الأداة التي استخدمها محمد بن علي السنوسي كأسلوب سلمي وعملي لنشر دعوته بين الناس كان ما عرف باسم (الزاوية) . إن نظام الزوايا كان معروفا في العالم الإسلامي فلقد سبقته الطرق الصوفية إلى استخدام هذا الاسم وأطلقت على المكان الذي يختلج فيه أتباع الطريقة و القائمون عليها ويتقربون فيه لله بالعبادة ليلا و نهارا منقطعين عن الناس و عن الحياة متكفلين بكفالة الناس لهم علي يد رجال القوافل الذين يضربون في الطرق الصحراوية وينزلون بهذه الزوايا التي غالبا ما كانت مواقعها في أماكن خلوية بعيدة عن العمران<sup>3</sup>.

**اختيار الجغبوب كمقر لقيادة الحركة :** إن اختيار محمد بن علي السنوسي للجغبوب كمقر لقيادة الحركة دليل علي بعد نظره وثاقب فكره ورجاحة عقله وقد ذكر المؤرخون أسباب ذلك الاختيار لعدة أسباب منها(9) : أن منطقة الجغبوب ليست ملكا لأي من القبائل فيتجنب بذلك تنافس القبائل وتطلع كل منها إلى إنشاء زاوية مماثلة في أراضيها الأمر الذي لا يستطیع محمد بن علي تحقيقه لعدم توافر العلماء المتخصصين ، ومنها أن واحة الجغبوب التي كانت غير مأهولة بالسكان تتيح لمحمد بن علي اختيار سكانها الجدد وتكون صالحة للدراسة، وتقع الجغبوب عند ملتقى طريقين مهمين أحدهما طريق الحج والآخر طريق القوافل التجارية الذي يربط بين دول حوض البحر المتوسط و مراكز التجارة في السودان الأوسط.

### 9-1 التنظيم الهرمي للحركة :

لقد استطاع محمد بن علي السنوسي أن يؤسس تنظيما هرميا للحركة فكان تشكيله كالآتي<sup>4</sup>:

أوله : شيخ الطريقة أو رئيس النظام و هو الرئيس الأعلى لها .

1 انظر ، محمد فؤاد شكرى ، مرجع سابق، ص (55) .

2 أحمد عبدالرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث ، جامعة النول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات التاريخية و الجغرافية القاهرة ، 1971م ، ص (40-41) .

3 علي محمد محمد الصلابي : الحركة السنوسية في ليبيا ، ج 1 ، ط 1 ، دار البيارق للطباعة والنشر والتوزيع ، 1420 هـ - 1999م ، ص (104 - 105) .

4 ذات المرجع ، ص (120) .

ثانيه : مجلس الأخوان (الشورى) و مهمته مساعدة شيخ الحركة في تعيين شيوخ الزوايا .

ثالثه: شيوخ الزوايا .

رابعة: الإخوان ومهمتهم كسب الأعضاء العاديين للحركة .

كانت زاوية أبي قبيس بمكة المكرمة أولي الزوايا وتم تأسيسها عام (1252هـ – 1837م) , وكانت الزاوية البيضاء في برقة أول مركز رئيس للدعوة في ليبيا وأنشئت عام (1258هـ – 1843م) (24) . استطاع محمد بن علي السنوسي أن يربط بين جميع زوايا الحركة برباط متين من المخابرات و المخاطبات و لجان التفتيش وفق نظام دقيق تلتقي أسبابه عند الزاوية الكبرى المركزية وكانت تلك الزوايا قد انتشرت في تونس و الجزائر و برقة و مصر و الحجاز و اليمن و تشاد وكانت تقارير هذه البلاد ترسل إلى السنوسي في الجغبوب بواسطة الهجن<sup>1</sup> .

**موقع الزوايا:** تميزت مواقع الزوايا بصفات سياسية و تجارية و استراتيجية ، فمن الناحية السياسية نجد الزوايا تنتشر في الدواخل أكثر من انتشارها في السواحل وذلك راجع للسيادة العثمانية التي كان لها نفوذ في المدن الساحلية ولذلك فضل محمد بن علي السنوسي أن يتوغل بزواياه في الصحراء وحرص على أن يوضح غرضه الدعوي من بناء الزوايا لسلطان الحكم العثماني في ليبيا فوجدناه يذكر مصطفى باشا حاكم فزان عند بناء زاوية هناك ( إن الزاوية في الحقيقة إنما هي بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده و الزاوية اذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة وتعمر بها البلاد ويحصل بها النفع لأهل الحاضرة و البادية لأنها ما أسست إلا لقراءة القرآن ولنشر شريعة أفضل ولد عدنان )<sup>2</sup> . وأوضح نفس الغرض الديني للزاوية للمشير محمد أمين باشا العثماني فقال : (وأما نحن فقد ألفنا ما اعتدناه ورضيت به نفوسنا فنريد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة و نفوس سكانها مستقرة ليحصل المقصود منها ويدوم من تعلم العلم و تعليمه وإقراء القرآن وتفهمه وإقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها)<sup>3</sup> . ولاتقل الأهمية الاستراتيجية لمواقع الزوايا عن الأهميتين السياسية و الاقتصادية فقد وجدنا معظم الزوايا تقام على مناطق مرتفعة حصينة حتى يمكن للإخوان الدفاع عنها ضد الأعداء ومن ثم بنيت الكثير من الزوايا على أنقاض الأطلال الإغريقية و الرومانية فيما مضى والعثمانيين فيما بعد . ومن الضروري بناء محطات و قرى لتثبيت سيادتهم بصد الهجمات التي تقوم بها القبائل المتوغلة في الصحراء , وبالمثل استعان الإبطالون فيما بعد بهذه المراكز لتثبيت حكمهم في البلاد<sup>4</sup> .

**بناء الزاوية:** كان بناء الزاوية يتم في الغالب بواسطة طلب ترسله القبيلة الراغبة في إقامة زاوية في أراضيها إلى محمد بن علي السنوسي وبعد موافقته يعين لهذه الزاوية شيخ يختاره من بين رجاله المتعلمين المحيطين به وتكون تكاليف بناء مسكن الشيخ والمسجد والمدرسة من الأهالي<sup>5</sup>، وكان محمد بن علي السنوسي يرسل عددا من الإخوان لمساعدة شيخ الزاوية والإشراف على عملية البناء التي يقوم بها رجال القبيلة أنفسهم في موقع الزاوية المختار ، ومن الطبيعي أن يستغرق البناء وقتا يزيد عن عام ومن ثم يهتم شيخ الزاوية ورجال القبيلة ببناء المسجد أولا ثم دار الإقامة لشيخ الزاوية وأسرته ، ويتبع ذلك استكمال بقية البناء لتشمل الزاوية في النهاية بيوتا لوكيل الزاوية ومعلم الأطفال و مساكن للضيوف و الخدم و مخزنا لحفظ المؤن و اسطبل و بستان و متجر و حجرة خاصة بالفقراء وفرن لسد حاجة السكان من الخبز<sup>6</sup> . بالإضافة إلى المباني الأخرى التي تلزم تطور الزاوية في أداء رسالتها<sup>7</sup> .

1 المرجع السابق ، ص ص (120-121) .

2 محمد محمد الصلابي ، مرجع سابق، ص (123) .

3محمد الطيب الأشهب : السنوسي الكبير ، ص 22 .

4 محمد الفواد شكري : المرجع السابق ، ص 50

5 محمد الطيب الأشهب : المرجع السابق ، ص ص (24 -25) .

6 ريتشارد توللي : عشر سنوات في بلاط طرابلس ، طرابلس 1961م ، ص 8

7 مصطفى يعقوب: دراسات في التاريخ الليبي ، القاهرة ، 1945م ، ص 23 .

**تنظيم الزاوية :** تنظيم الزاوية وضعه محمد بن علي بأسلوب عملي لكي تؤدي الزاوية رسالتها على الوجه الصحيح ولتحديد المسؤوليات فعلى رأس كل زاوية مقدم (الشيخ) وبعده وكيل ووظيفته كوظيفة الحاكم المدني و كلا من المقدم و الوكيل ذو سلطة كبيرة على أهل الزاوية جميعا و القبيلة كافة فالأمر الذي يصدره أحدهما مقرونا باسم السيد محمد بن علي السنوسي إنما هو أمر واجب الطاعة على الجميع<sup>1</sup>. وكان لشيخ الزاوية الحق في تعيين معلم الصبيان والمؤذن وعدد من الخدم والعمال حسب مقتضيات الضرورة وتكون نفقاتهم وأجورهم من موارد الزاوية ، وأن يحتفظ من واردات الزاوية بما يكفي للصرف على مشروعات ونشاط الزاوية ويرسل الباقي إلى المركز الأم ، وأن تحدد الحدود بين أرض كل زاوية و الزاوية المجاورة ، وأن يجتمع شيوخ الزوايا سنويا (كلهم أو بعضهم) إذا ما رأوا وجوب ذلك وعليهم أن يتشاوروا في تحديد موعد الاجتماع ومكانه إن لم يكن أحد شيوخ الزوايا هو الداعي لعقد الاجتماع<sup>2</sup>.

**وظيفة الزاوية الدينية:** وتمثلت الوظيفة الدينية في التنفيذ لأحكام ومبادئ الحكم الشرعي الإسلامي بين المواطنين و التربية الدينية و الخلقية للأتباع وإعداد الدعاة . هذا إلى جانب الالتزام بالفضائل وتجنب الرذائل والقوة الحسنة التي وجدها الناس في شيوخ الزوايا و الاهتمام بدعوة الشعوب الوثنية في قلب أفريقيا الغربية والسودان والصحراء الكبرى حتى اهتدت هذه القبائل إلى الإسلام<sup>3</sup>. تمثل هذا الأساس في الدعوة إلى وجوب دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والاعتماد عليها في فهم الإسلام وقد ظهر ذلك في مؤلفات محمد بن علي السنوسي مثل ما جاء في رسالة بعث بها إلى أهل (واجنقة) في قوله : أسألكم باسم الإسلام أن تطيعوا الله ورسوله فقد قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز " ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59) ) " نسألكم أن تطيعوا أوامر الله ورسوله فتؤدون الصلوات الخمس وتصومون رمضان وتؤتون الزكاة وتؤدون فريضة الحج وتجتنبون ما نهى الله عنه من قول الكذب والغيبة و أكل أموال الناس بغير حق وشرب الخمر وشهادة الزور وغير ذلك مما أمر الله باجتنابه فإذا فعلتم ما أمر الله به ورجعتم عما نهى الله عنه أسبل عليكم نعمة الإسلام و منحكم الخير و الرزق الدائمين<sup>4</sup> . وأوصى محمد بن علي السنوسي أتباعه بتلاوة القرآن والاعتماد على الله سبحانه وتعالى وعلى كتابه القرآن الحكيم وسنة نبيه الكريم (صلى الله عليه وسلم) كما أوصاهم بمخافة الله سبحانه وتعالى وأن يفعلوا ما أمر به و الابتعاد عما نهى عنه وأن يعظموا كلمه الحق<sup>5</sup> . وواضح مما سبق أن الدعوة تنادي بالعودة إلى أصول الإسلام القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة كأصلين للدين الإسلامي والعمل على الابتعاد من البدع والخرافات التي علقت به.

**وظيفة الزاوية التعليمية:** تمثل الزاوية مدرسة قرآنية لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم و مبادئ الدين الإسلامي و اللغة العربية ومن يتميز من الأطفال يلتحق بالزاوية الأم سواء كانت بالبيضاء أو الجغبوب التي صارت مناخاً للعلوم والتي حوت مكتبتها ثمانية آلاف مجلد من تفاسير وأحاديث وأصول وتوحيد وفقه وغير ذلك من العلوم<sup>6</sup> . كانت المناهج التربوية بالزاوية تشمل جميع العلوم الإسلامية. كان طلاب العلم يتدربون على إتقان بعض الحرف و الصناعات<sup>7</sup> .

**وظيفة الزاوية الاجتماعية :** يتضح الأساس الاجتماعي للدعوة من كلمات محمد بن علي السنوسي إلى أهل واجنقة قائلا فيها : (يا أهل واجنقة إنا نريد أن ننشر السلام بينكم وبين الأعراب الذين يغيرون على بلادكم ويستعبدون أولادكم و يلخذون أموالكم وإنا بعملنا هذا نقوم بما أمر الله سبحانه وتعالى به في كتابه العزيز حيث قال سبحانه وتعالى وإن

1 ذات المرجع ، ص 58

2 محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، صص(22-54)

3 علي محمد محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص 125

4 عبدالجليل الطاهر : المرجع السابق ، ص 314.

5 محمد الطيب الأشهب : المرجع السابق ، ص 35

6 المرجع نفسه، ص 25.

7 لوثروب ستيفارد : حاضر العالم الإسلامي ، ج 1 ، ص 298 .

طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَنْجِي حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ويقول سبحانه وتعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) ويبدو أن محمد بن علي السنوسي أراد عبر الأساس الاجتماعي للدعوة إزالة الصراعات القبلية وبالتالي يقلل الغارات والحروب بين القبائل مما يساعد على أمن المسافرين في الصحراء من إغارات قطاع الطرق. قامت الزوايا بدور اجتماعي مهم ألا وهو ما ضمنته للقبائل من أمن وطمأنينة ومصالحة بين القبائل وبما أشاعته بين القبائل من استقرار اضطرت كل قبيلة أن تحافظ على صلتهما الدائمة بنوايتها الخاصة بها، وقد اقتضى منها هذا الموقف عدم البعد عنها حتى يسهل الاتصال بها كلما دعت الضرورة لذلك وبمرور الزمن تعودت القبيلة نوعا من حياة الاستقرار والإقامة بعد أن كانت لا تعرف لذلك سيلا<sup>1</sup>. هذا إلى جانب تساوي الجميع في الواجبات والحقوق فكل طالب علم في الزاوية علي ه أن يؤدي ما أنيط به من عمل مساء يومي الاثنين والخميس ويوم الجمعة راحة - ويستوي في ذلك كل الإخوان إذ ليس هناك نظام الطبقات المرفق عادة بين صفوف الأمة<sup>2</sup>. وهكذا يخضع الإخوان في الزوايا إلى تقسيم أيام الأسبوع بين طلب العلم والعمل والراحة.

**وظيفة الزاوية الاقتصادية:** أقيمت معظم الزوايا في طريق تجارة القوافل، وكانت هناك ثلاثة طرق رئيسية في الأراضي الليبية الطريق الأول للقوافل يتجه ناحية الجنوب من الساحل الليبي عبر واحة فزان وبحيرة تشاد، والطريق الثاني ينعطف ناحية الجنوب الغربي عبر غدامس وغات وتمبكتو، والطريق الثالث يسير ناحية الجنوب الشرقي عبر واحة الكفرة ثم سواكن وزيلع إلى وادي دارفور الغني بخصوبته وثرواته<sup>3</sup>. والمتتبع لمواقع هذه الزوايا في الأراضي الليبية مثلا يلاحظ ارتباطها بطرق قوافل التجارة مما جعل محمد بن علي السنوسي يستخدم زواياه والقبائل التي توجد الزوايا في أراضيها لاستغلال التجارة وتنشيطها مما كان له أثر غير مباشر في إزدياد ثروة البلاد الاقتصادية بما قامت به الزوايا من دور كبير في تشجيع تجارة القوافل التي كانت تعتبر حتى بداية القرن العشرين الميلادي موردا مهما في حياة البلاد الاقتصادية<sup>4</sup>. كما كانت الزاوية تشجع الحركة التجارية والزراعية بين القبائل فاستقر الأمن في البلاد مما ساعد في نشاط حركة التجارة وعمرت الطرق بالقوافل المحملة بالمواد والسلع التجارية. هذا إلى ما كانت تقدمه الزوايا من مساعدات وتسهيلات لإراحة المسافرين مع التجارة مما شجع على التبادل التجاري بين منتجات الزوايا وبين ما تحمله القوافل من سلع لا تتوفر في أرض الزاوية<sup>5</sup>.

**وظيفة الزاوية العسكرية والاستراتيجية:** اتبع محمد بن علي السنوسي في إنشاء الزوايا نظاما خاصا يدل على الأهمية الاستراتيجية للمواقع التي اختارها للزوايا فبدأ من مواقع على شاطئ البحر المتوسط وبنى بهذه المواقع الحصينة زوايا تبعد كل زاوية عن التي تجاورها مسافة ست ساعات، ثم أنشأ خلفها زوايا مقابلة لها تبعد عن الأخرى المسافة نفسها حتى إذا هوجمت الزوايا الأمامية التي بالنشاط يسهل استطاع الإخوان وأهل الزاوية أن ينتقلوا بسهولة إلى الزوايا الخلفية<sup>6</sup>. وكانت وظيفة الزاوية العسكرية تتمثل في الدور الجهادي في مواجهة الغزو الفرنسي المتقدم في وسط أفريقيا وفي الكفاح ضد الاحتلال الإيطالي وليبيا ولولا استعداد الزوايا العسكري لما صمد الليبيون ضد قوات الاحتلال الإيطالي أكثر من عشرين عاما<sup>7</sup>.

1 علي محمد محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص 129-130.

2 عثمان الحشاشري التونسي : رحلة الحشاشري إلى ليبيا ، تحقيق علي مصطفى المصراحي ، بيروت ، 1965م ، ص 151

3 علي محمد محمد الصلابي : المرجع السابق : ص 30

4مصطفى بعيو : المرجع السابق : ص 62-71.

5محمد الطيب الأشهب : المرجع السابق : ص 50

6 علي محمد محمد الصلابي : المرجع السابق : ص 131

7 نقولا زيادة : ليبيا من الإحتلال الإيطالي السنوسي إلى الاستقلال، القاهرة، 1958م، ص 76-77.



## النتائج:

- 1/ كانت الحركة كغيرها من الحركات الإصلاحية الإسلامية التي سبقتها تهدف للعودة بالإسلام إلى أصوله الصحيحة.
- 2/ بث محمد بن علي السنوسي دعوته الإصلاحية عن طريق الزوايا التي أصبحت تمثل النواة الأولى لمجتمع تحكمه سلطة وعليه واجبات عديدة . فأسس أول زاوية له في هضبة برقة بعيدا عن نفوذ الفرنسيين الذين استولوا علي ليبيا آنذاك و كانت تسمى بالزاوية البيضاء ثم انتقل السنوسي إلى واحة الجغبوب التي أصبحت مركزا للحركة.
- 3/ نهج محمد بن علي السنوسي منهاجا تربويا استمده من كتاب الله وسنة رسوله (صلي الله عليه وسلم) , وأحجم عن مهاجمة الخلافة العثمانية بوصفها مركزاً للخلافة الإسلامية فنظر السلطان العثماني إلى الحركة وزعيمها نظرة ارتياح لأنها حركة لتجميع الجماعات الإسلامية ولا تهتم بغير الدين الإسلامي معلنا زعيمها ولاءه للخلافة العثمانية دائما<sup>1</sup>.
- 4/ نتيجة للعلاقات الطيبة بين الحركة والدولة العثمانية أصدر السلطان العثماني عبد المجيد الأول فرمانا في عام 1856م عُفيت بموجبه الزوايا من الضرائب بل وسُمح للحركة بجمع ضريبة من أتباعها كما عُدَّت الزوايا حمى يلجأ إليها الناس.
- 5/ لما شعر محمد بن علي بدنو أجله أسند الخلافة لابنه محمد ابن محمد بن علي ، وكان يتصف بالتقوى والصلاح و العلم فضلا عن شخصيته القيادية وبعد وفاة والده بُويع زعيماً للحركة .

## التوصيات:

- 1/ العودة إلى الإسلام وتعاليمه السمحاء لبناء مجتمع تسود فيه المساواة والعدل . والحكم بالكتاب والسنة.
- 2/ حدث الفرد المسلم على أن يتعلم حرفة مادية نافعة للمسلمين .
- 3/ ترسيخ وظيفة الجهاد في أذهان المسلمين فه ي أمر قائم إلى يوم الدين ولهذا ينبغي على كل فرد مسلم أن يتدرب عسكريا.

المصادر:

- 1/ عبدالودود ابراهيم شلبي: الأصول الفكرية للحركة المهدية السوداني و دعوته ، دار المعارف .  
نقولا زيادة : ليبيا من الإحتلال الإيطالي الاستقلال ، القاهرة 1958م .
- 2/ أحمد الخشاب: الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية ط 3 ، مطبعة القاهرة الحديثة ، 1970م .
- 3/ باول شمتز: الإسلام قوة الغد ، ترجمة د. محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، 1974م.
- 4/ عبدالجليل الطاهر: المجتمع الليبي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت 1969م .
- 5/ نبيه زكريا عبد ربه : الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيعية ط 1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، قطر ، الدوحة 1406 هـ . 1986م .
- 6/ عبدالرحمن عمر الماحي : الدعوة الإسلامي في افريقيا ، الواقع والمستقبل ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .
- 7/ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ، القاهرة ، 1948م .
- 8/ أحمد عبدالرحيم مصطفى : حركة التجنيد الإسلامي في العالم العربي الحديث ، جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية  
قسم البحوث والدراسات التاريخية و الجغرافية القاهرة ، 1971م .
- 9/ علي محمد محمد الصلابي : الحركة السنوسية في ليبيا ، ج 1 ، ط 1 ، دار البيارق للطباعة والنشر والتوزيع ، 1420 هـ - 1999م .
- 10/ رينشارد توللي : عشر سنوات في بلاط طرابلس ، طرابلس 1961م .
- 11/ مصطفى بعيو: دراسات في التاريخ الليبي ، القاهرة ، 1945م .
- 12/ عثمان الحشاشي التونسي : رحلة الحشاشي إلى ليبيا ، تحقيق علي مصطفى المصراني ، بيروت ، 1965م .